العقل المدبر لاعتداءات 11 سبتمبر ما زال يترقب حكمه

خالد شيخ محمد يُقر بمسؤوليته عن الهجمات الأكثر دموية

خيّم ظل خالد شيخ محمد العقل المدبر لاعتداءات الحادي عشر من سبتمبر على مراسم إحياء الولايات المتحدة السبت لذكرى هذه الهجمات التي استهدفت برجي مركز التجارة العالمي بنيويورك ومبنى البنتاغون بالعاصمة واشنطن والتي قضى فيها حوالي ثلاثة آلاف أميركي، فيما لا يزال الرجل ينتظر صدور الحكم القضائي فيه.

جرح غائر

قاعدة غوانتانامو البحرية (كوبا) – أحيت الولايات المتحدة السبت ذكرى اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر 2001 التي قُتل فيها حوالي ثلاثة آلاف شخص.

وخيم على المراسم ظل خالد شيخ محمد العقل المدبر للاعتداءات الذي لم يُحاكم ولم يصدر حكم بحقه بعد مرور عشرين عاما على الهجمات.

وتباهى خالد شيخ محمد أمام المحققين بأنه تصوّر ودبّر الاعتداءات الأكثر دموية في التاريخ، فيما يقبع منذ 15 عاما في زنزانة في معتقل غوانتانامو الخاضع لأشدّ التدابير الأمنية.

وينتظر المتهم في هذه القاعدة البحرية الأميركية في كوبا لمعرفة ما إذا كانت المحكمة العسكرية التي يفترض أن يمثل أمامها تقبل باعترافاته، أو أن التعذيب الذي خضع له على أيدي عناصر من وكالة الاستخبارات المركزية "سي.آي.أي" أثناء سجنه يجعل هذه الاعترافات غير مقبولة من القضاء.

ويبقى شيخ محمد أبغض شخص على ارتباط باعتداءات الحادي عشر من سبتمبر بالنسبة إلى الأميركيين بعد أسامة بن لادن.

وهو "قاتل" تميّز عن سائر أعضاء تنظيم القاعدة بمشاريعه "المجنونة"، وفق ما أوضح العميل السابق في مكتب التحقيقات الفدرالي "إف.بي.آي" علي صوفان.

مبادر إرهابي

الرجل البالغ من العمر 56 عاما معروف لدى العامة من خلال الصورة التي التقطت له ليلة القبض عليه عام 2003، ويظهر فيها مشعّث الشعر ويرتدي قميصا داخليا أبيض.

وبدا هذا الأسبوع هزيلا حين مثل بلحية طويلة يطغى عليها الشيب وعمامة زرقاء أمام المحكمة العسكرية في غوانتانامو للمرة الأولى منذ 18 شهرا.

ويعتقد أن شيخ محمد، الباكستاني الذي نشأ في الكويت، هو الذي طرح فكرة شن هجمات صدما بطائرات على زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن عام 1996.

وكان شيخ محمد، خريج جامعة أميركية، يعمل لحساب الحكومة في قطر في مطلع التسعينات حين بدأ يخطط للهجمات بمساعدة ابن شقيقته رمزي يوسف الذي فجر قنبلة في مركز التجارة العالمي في نيويورك عام 1993.

ولم يلتحق في البداية بتنظيم القاعدة، بل وصفه التقرير الرسمي حول اعتداءات الحادي عشر من بأنه "مبادر إرهابي" كان يمتلك الدوافع والأفكار للتخطيط لاعتداءات لكنه يفتقر إلى التمويل والتنظيم الضروريين لتنفيذها.

وأورد التقرير أن "خالد شيخ محمد ذو المستوى التعليمي العالي والذي يمكن أن يشعر بالارتياح في مكتب موظف حكومي كما في مخبأ للإرهابيين، استخدم مخيّلته وكفاءاته الفنية ومهارته في إقامة علاقات، ليبتكر ويدبّر مجموعة هائلة من المخططات الإرهابية".

> خالد شيخ محمد تباهى أمام المحققين بأنه دبّر الاعتداءات الأكثر دموية في التاريخ، فيما يقبع منذ 15 عاما في معتقل غوانتانامو الخاضع لأشدّ التدابير الأمنية

تعذيب

اعتقل خالد شيخ محمد في مارس 2003 في روالبندي في باكستان ونقلته "سي.آي.أي" إلى سجون سرية في بولندا حيث تم استجوابه، فخضع لعمليات إيهام بالغرق 183 مرة خلال أربعة أسابيع.

وهو المعتقل الذي ركزت عليه وكالة الاستخبارات المركزية أكبر قدر من الاهتمام، فخضع بالتالي لأكبر قدر من التعذيب، ما بين الضرب والدفع نحو الجدار والحرمان من النوم والتغذية الشرجية واتخاذ وضعيات مؤلمة وغيرها.

غير أن تقرير مجلس الشيوخ الأميركي أفاد أن كمية كبيرة من المعلومات التي تم جمعها تحت التعذيب كانت خاطئة.

لكن بعد نقله إلى غوانتانامو في سبتمبر 2006، أعلن شيخ محمد مفاخرا أمام المحكمة العسكرية "كنت مسؤولا عن عملية الحادي عشر من سبتمبر من الألف إلى الياء".

كما أنه يقف خلف ثلاثين عملية أخرى من بينها اعتداءات على ارتباط بتنظيم القاعدة في بالي وكينيا وقتل الصحافي الأميركي دانيال بيرل.

ويصفه محاميه ديفيد نيفين بأنه رجل بارع لديه استراتيجيات جيدة للدفاع عن نفسه في المحكمة.

عودة طالبان

وخاض محاموه عام 2017 مفاوضات سعيا لإبرام اتفاق لإقرار موكلهم بذنبه لقاء عقوبة بالسجن مدى الحياة، على ما علم لدى المحكمة بعد عام، غير أن هذا الاتفاق لم يتحقق.

بدا شيخ محمد هذا الأسبوع في المحكمة واثقا من نفسه، فتبادل أطراف الحديث مع محاميه وحيا صحافيين في الرواق المحمي بزجاج في القاعة.

ويقول محاموه إنه على علم على الأرجح باستعادة طالبان السيطرة على أفغانستان، وهو ما اعتبره تنظيم القاعدة انتصارا كبيرا.

وكانت طالبان قد سيطرت على العاصمة الأفغانية كابول بعد انهيار القوات الأفغانية الحكومية المنهكة في منتصف أغسطس وذلك بعد انسحاب أميركي فوضوي من البلاد.

وتمكنت الحركة الإسلامية المتشددة منذ أيام من بسط سيطرتها على آخر ولاية تحصنت بها قوات مناوئة لها وهي وادي بانشير حيث تقهقرت قوات المقاومة الأفغانية بقيادة أحمد مسعود.

السقوط الأميركي في أفغانستان

جوناثان جورنال
صحافي بريطاني

بحسب قاموس ميريام وبستر فإن الغطرسة تنطوي على "كبرياء مبالغ فيه أو ثقة زائدة بالنفس"، ومن ثم فهي علة تصيب الشخصية كما تقول التراجيديا اليونانية الكلاسيكية، "تلك العلة من شأنها أن تؤدي بالبطل إلى محاولة تجاوز حدود القيود البشرية وأن يصطنع لنفسه مكانة إلاهية"، وفي المقابل حين تستشعر الآلهة تلك المهانة تقوم حتما بازدراء هذا المسيء وتذكّره بفنائه.

وبداية شهرة قائد الفرقة الجوية الأميركية رقم 82، الجنرال كريس دوناهو، أو نهاية شهرته، ستجعله عالقا في الأذهان كونه أنه في الثلاثين من أغسطس 2021، كان آخر جندي أميركي يغادر كابول.

ففي صورة ذات صبغة خضراء مثيرة للخوف لاقت انتشارا واسعا ظهر دوناهو وهو يستقل آخر طائرة من طراز C-17 تغادر أفغانستان، ويبدو فيها وكأنه يشخص ببصره إلى العالم كشبح المغامرات الإمبراطورية الفاشلة الغابرة.

وبينما كان جندي المظلات هذا يخطو باتجاه طائرة الهروب عبر مدرج الطائرات، وكأن بالمرء يسمع صوت أحذية الجنود الروس والبريطانيين وهم يجرون أذيال الهزيمة حين مروا من نفس الطريق، فهم ضحايا غطرسة حكوماتهم في القرنين العشرين والتاسع عشر.

تمثل قصة دوناهو بشكل خاص، وحياته المهنية بشكل كامل أنموذجا تحذيريا للسقطات المأساوية التي عانتها الولايات المتحدة منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر في عام 2001.

كان دوناهو مُتواجدًا في مبنى البنتاغون يوم أن أصابته طائرة الخطوط الجوية الأميركية 77 في ذلك اليوم المشؤوم. وكغيره من عشرات الآلاف من الأميركيين الآخرين الذين عاد الكثير منهم إلى ديارهم في صناديق فولاذية، أُرسل دوناهو لاحقًا إلى أفغانستان، أولاً في عام 2002 ثم في ثلاث مرات لاحقة، كما عزز دوناهو من صورة الولايات المتحدة كشرطي للعالم في بلدان أخرى، لاسيما العراق وسوريا.

ومع ذلك، فمن العدل أن نذكر أن مثل تلك المهام لم تحقق للولايات المتحدة ما هدفت إليه. ومع ذلك، وفقًا لمقابلة مع إيربونكر وبس بودكاست في الثامن عشر في مايو، وقتما كان التخطيط للانسحاب من أفغانستان يسير بخطى حثيثة، ظلت ثقة دوناهو التي تملؤها الحماسة كما هي تمامًا حيث قال "هذا الأمر ليس من الصعوبة بمكان بالنسبة إلينا. يمكننا التعامل مع كل ما قد يطلب منا.. كل ما تطلبه الأمة، ومهما تتطلبه القوات، يمكننا الوفاء به".

وكل ذلك ممكنا باستثناء هزيمة طالبان التي لم ينالوها، بالطبع.

بينما تختفي ذكرى الجنرال كريس دوناهو، لن يبقى للعالم الغربي سوى التخلي عن قناعته المتغطرسة والتي تتمثل في أن نظرته إلى العالم هي النظرة الوحيدة الصحيحة، ومن هنا فإن تبني موقف واقعي تجاه أفغانستان وطالبان سيكون بمثابة نقطة انطلاق جيدة.

يتعين على العالم أن يطرح على نفسه سؤالاً بسيطًا: هل يريد الفشل أم النجاح للبلاد، مع أو دون وجود طالبان في السلطة؟ ومن خلال حكمنا على ما تبثه القنوات الإعلامية منذ استيلاء طالبان على البلاد، فإن العالم يريد نجاح البلد.

وقد عكفت مكاتب الأخبار الغربية على استغلال كل قصة إخبارية غير مؤكدة تتناول طالبان، والتي يبدو وكأنها تُدير لعبة علاقات عامة جيدة، لكن يبدو في نفس الوقت أنها تنوي العودة إلى سيرتها الأولى.

وفي الوقت ذاته، وبينما، على ما يبدو، أن السياسيين الغربيين قد تناسوا أن قواتهم المسلحة قد تجرعت كأس الهزيمة، فقد شرعوا يثيرون الضجيج حول كيفية محاسبة طالبان، بينما تواصل العديد من الدول رفض الاعتراف بطالبان كحكومة للبلاد.

سرعان ما سينكشف لعواصم الغرب أنّ ما يفكّرون به بشأن أفغانستان لم يعد ذا جدوى. فعالم السياسة الواقعية هو الذي يحكم الأحداث في أفغانستان الآن، وتبدو تلك التهديدات زائفة وعقيمة. لقد جرب الغرب ذلك من قبل، هل تتذكرون؟ واقع الأمر الذي لا بد لأفغانستان والعالم الاعتراف به هو أن البلاد أصبحت الآن في أيدي طالبان مرة أخرى، على الرغم مما بذلته أقوى دولة في العالم وحلفاؤها من تضحيات على مدى عقدين من الزمن.

إذا بقي الغرب جادًا بشأن محاولته مساعدة الشعب الأفغاني، فلن يكون عليه فقط قبول وجود طالبان، لكن سيتعين عليه كذلك التخلص من سياسة الترهيب التي فقدت مصداقيتها والشروع في تقديم "الجزرة، أو سياسة الترغيب" والتي من شأنها أن تسهم رويدا رويدا في أن توائم طالبان مواقفهم بما يتماشى مع اتجاهات القرن الحادي والعشرين.

هل سيتغير البلد بين عشية وضحاها؟ بالطبع لا، ستكون هناك انتكاسات لا محالة، وكذلك أحداث تثير الرعب على مدى السنوات القادمة، لكن في مواجهة تحد إدارة دولة بأكملها، وخزينة تنقصها السيولة النقدية وشعب يتطلع إلى إجابات، كل ذلك من شأنه أن يجعل طالبان في حاجة إلى المساعدة والدعم ومن ثم ستسعى إلى الحصول على موافقة الدول الأخرى.

> إذا بقي الغرب جادًا بشأن مساعدة الأفغان، فلن يكون عليه فقط قبول طالبان، لكن سيتعين عليه التخلص من سياسة الترهيب التي فقدت مصداقيتها

وبينما يتأمل العالم ذكرى الحادي عشر من سبتمبر، التي دفعت بالولايات المتحدة إلى إطلاق أطول حروبها لمدة تربو على العشرين عاما، يجدر بنا أن نحسب التكاليف، ليس فقط لتلك الهجمات النكراء التي شهدها ذاك اليوم من سبتمبر من عام 2001، ولكن كذلك للمجازر التي أعقبت ذلك.

أودت الهجمات في ذلك اليوم بحياة 2977 مدنيا في الولايات المتحدة، ونتيجة لذلك، وفي محاولة يأسها منها قامت الحكومة الأميركية بغزو أفغانستان والإطاحة بحركة طالبان.

ومن المثير للسخرية أنهم هم الناس الذين دعّمتهم بالمال والتدريب والأسلحة خلال السنوات العشر من الحرب السوفييتية – الأفغانية. تلك العملية، التي لم تنجح في القبض على أسامة بن لادن، العقل المدبر لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولا في الإطاحة بطالبان، أدت إلى إزهاق أرواح زهاء 176000 شخص، وهي تكلفة بشرية كبيرة وفاتورة دموية ضخمة وفق جميع المعايير.

وكان من بين هؤلاء عدد 6247 أميركيا، وهذا يمثل أكثر من ضعف عدد الذين لقوا حتفهم في الحادي عشر من سبتمبر، بينما قُتل 1144 جنديًا آخر من الدول الحليفة، وقُتل أيضا أكثر من 46000 مدني أفغاني، إلى جانب أكثر من 56000 مقاتل من المعارضة.

ولم تكتف الولايات المتحدة بغزو أفغانستان وحسب، وإنما كان تغيير النظام في العراق هو البند التالي على جدول الأعمال، وهو الذي ثبت أنه أكثر تكلفة، حيث فقد فيه حوالي 300000 شخص حياتهم.

إن "حرب أميركا على الإرهاب" كلفتها ما يقدّر بنحو 6 تريليونات دولار، وكان نصيب أفغانستان منها 2 تريليون دولار، ولو استثمرت أميركا الأموال تلك في محاولة بناء أفغانستان لكان لأفغانستان بل وللمنطقة بأسرها شأن آخر.

الآن، على الأقل، وبعد أن تجرعت أميركا مرارة الهزيمة في ساحة المعركة، فإنه مازالت أمامها فرصة أخيرة لتفعل الصواب، حيث يمكن أن تبدأ بالاعتراف بطالبان، وبذل كل ما في وسعها لضم البلاد إلى أحضان الأسرة الدولية.

* بالتعاون مع موقع سينديكيشن بيرو

طالبان فرضت الأمر الواقع